مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

لغة التواصل بين الذكور والاناث دراسة تداولية عابرة لثقافة المجتمعات

أ.م.د. حسن محمد كاظم
جامعة القاسم الخضراء- كلية العلوم – قسم علوم الحياة

The language of communication between males and females / a cross-cultural cross-cultural study of societies

Assistant Professor dr : hassan mohammed kadhim
hassan.m@science.uoqasim.edu.iq
Al Qasim Green University College of Science - Department of Life Sciences

الخلاصة :

عملية التواصـــل الكلامي بين الذكور والاناث تتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية في انجاز افعالها الكلامية وتأويلها . وعلى هذا انطلقت لتسـليط الضـوء في معالجة وبحث المشـكلة من منظور اللسانيات التداولية لمختلف الثقافات التي ترى أن عملية التواصل محكومة بمبدأ الصلة التأويلي الذي تتحكم فيه كفاءة المتكلم التأويليةوبيئته الادراكية . ولا نغفل اثر السـياق وعناصـره كافة في خلق هذه الاشكالية فثمة سياقات تحتاج الى اضطلاع أطراف الخطاب وادراك مقاصده وقد يقل اثرها في الثقافات التي تساوي بين الذكور والاناث في الحقوق والواجبات والممارسات اليومية في حين يظهر أثرها ويتســـع كلما اتجهنا نحو الثقافات التي تولي كلا من الجنســـين مهاما تختلف تماما عما هي عليه عند الأخر محاولة بذلك توسيع مستوى الاختلاف بينهما حتى يغدوالتواصل بينهما متعذرا في بعض السياقات والبيئات بفعل الأعراف الأجتماعية أوبفعل التوجه الديني .

الكلمات المفتاحية : (التواصل ، الجنس ، التداولية ، الثقافات ،الفعل الكلامي ، البيئة ، الأدراكية ، اللغة)

Abstract:

The process of verbal communication between males and females is affected by the social and cultural environment in the execution and interpretation of their speech acts. Accordingly, I set out to shed light on the treatment and research of the problem from the perspective of pragmatic linguistics of various cultures, which believes that the communication process is governed by the principle of interpretive relevance, which is controlled by the speaker's interpretive competence and his cognitive environment. We should not ignore the impact of the context and all its elements in creating this problem. There are contexts that require the parties to the discourse to be involved and realize its

objectives. Their impact may be less in cultures that equate males and females in rights, duties, and daily practices, while their impact appears and expands as we move toward cultures thate each gender assumes tasks that are completely different from those of the other, in an attempt to expand the level of difference between them until communication between them becomes impossible in some contexts and environments due to social norms or religious orientation.
key words: altawasul , aljins , allaebiat , althaqafat ,alfiel alkalamiu , albiyat

المقدمة :

التطور الكبير للدرس اللساني المعاصر بعد انفتاحه على العلوم الاخر وكان ذلك بفعل انتقاله من دراسة اللغة بوصفها نظاما بنيويا مجردا من سياقاته التواصلية الى الكلام بوصفه الجانب الذي تتجلى فيه مقاصد المتكلم عند استعماله اللغة في سياق تواصلي معين .

ولعلنا لانبالغ اذا قلنا ان التداولية هي الاتجاه الرئيس الذي حدا باللسانيات نحو ذلك التطور فقد باتت التداولية اليوم اتجاها لسنيا متنوعا في اهتماماته حتى عدها ستيفن ليفنسون في كتابه (التداولية) محورا لكثير من الدراسات اللسانية ومنها اللسانيات الاجتماعية واللسانيات الانثروبولوجية واللسانيات التواصلية وتحليل الخطاب . وكان من نتائج ذلك أن ظهرت التداولية في ثمانينيات القرن المنصرم لتوجيه عنايتها نحو اشكالات التواصل بين الذكور والاناث بين الثقافات على صعيد البلد الواحد ام على صعيد الادان المختلفة .

ان التواصل بين الجنسين تعد من اهم الظواهر اللغوية التواصلية واكثر شيوعا في المجتمع الانساني . وبالنظر لشيوع هذه الاشكالية وتاثيرها في المجتمعات فقد ام الباحث بدراستها من منظور اللسانيات التداولية العابرة للمجتمعات في ظل تنوع المرجعيات الثقافية للمتحاورين .

ولعل مصدر هذا النوع من المشكلات يعود الى اختلاف في فعالية الادراك من شخص الى اخر وعلى نحو اعم البيئة الادراكية المعرفية لكل فرد ولاسيما بين الذكور ولاناث القت بظلالها على الكفاءة التداولية للمتحاورين وتبين انها ذات طبيعة نسبية تختلف درجة فعاليتها في انجاز الكلام وتاويله من سياق تواصلي الى اخر . وتبين ان الكفاءة التداولية للانثى تختلف عما هي عليه عند الذكر لتفاوت بيئتيهما الادراكيتين المعريفيتين ومن ثم عد تواصلهما (الذكر والانثى)في موضوعات وسياقات كثيرة عبورا الى ثقافة الاخر . وعملية التواصل تلك محكومة بحاجز ناتج عن الفجوة الثقافية التي تزداد وتتسع بحسب جنس المتحاورين وخلفيتهما الثقافية والدولية . واذا

كانت الفجوة الثقافية تحصل في سياق التواصل عبر الثقافي والدولي من الجنس نفسه فما بالك اذا كان المتحاوران من جنسين مختلفين .

ومن هنا قام الباحث بتقسيم مادة البحث الى عدد من الفقرات : الاولى تعنى بمصطلح التداولية والثانية بيان المراد من التواصل واختلاف الجنس اما الثالثة فقد عنيت ببيان اشكالية التواصل بين الذكور والاناث على صعيد الثقافة الواحدة تلتها الفقرة الرابعة اشكالية التواصل على صعيد الثقافات المختلفة وكان من تتمة ذلك الفقرة الخامسة أسباب اشكالية التواصل ثم الخاتمة والنتائج التي خلص اليها الباحث .

١- التداولية العابرة لثقافة المجتمعات

ان مصطلح التداولية العابرة لثقافة المجتمعات هو ضرب من التواصل بين شخصين او اكثر من أي مكان و لايشتركان في اللغة او الخلفية الثقافية الواحده ومن ثم لايقتصر على التفاعل اللغوي والثقافي بين السكان الاصليين وغير الاصليين في بلد معن قد يمتد الى الاختلاف الثقافي بين شخصين يعيشان في البلد نفسه ويتكلمان اللغة نفسها بيد ان ثقافتيهما مختلفتان .وهو يضم على سبيل المثال العلاقة بين العاملين والمديرين او الخطاب الاكاديمي الذي يتلقاه الطلاب الوافدون الى الجامعة لتوهم .([1])

وعرفها يوول بأنها (دراسة توقعات مختلفة بين مجتمعات مختلفة فيما يخص المعنى) (٢) لثلاثة وابعد من ذلك تذهب اللغوية البولندية ويرزبيكا الى ان حقل التداولية العابرة لثقافة المجتمعات يعتمد على ثلاث وجهات نظر : الأولى ترى ان الناس في السياقات المختلفة يتفاعلون بصورة مختلفة . والثانية ترى ان تلك الاختلافات تبين لنا قيما ثقافية متنوعة فضلا عن وجهات نظر متنوعة . فما اساليب التواصل المتنوعة لابد ان تكون معللة أي انها تحدث عن اسباب معينة تكون هي موضع الدراسة بعد رصد ظاهرة التنوع الاسلوبي وما يرافقه من غموض ووضوح (٣)[2]

وتعد هذه الدراسة في ضوء التداولية ميدان من الميادين الاساسية والحيوية في الدراسات اللسانيات التداولية غلبا تقوم بدراسة مقاصد أفعال الكلام الصادرة عن المتكلمين الذين ينتمون الى ثقافات مختلفة فضلا عن المتكلمين الاصليين وغير الاصليين ممن يستعملون لغة واحدة في مجتمع ما .

٢- التواصل واختلاف الجنس :

أن قضية اختلاف الجنس تعد من القضايا المهمة والشائكة في الثقافة الواحدة اهي على مستوى أعلى من الصعوبة والتعقيد اذا مادرست في الثقافات المختلفة ولاسيما على صعيد المحادثات التي تجري بين الجنسين وما تتضمنه من مقاصد قد تجهد كل من الطرفين نفسه في الوصول اليها من دون جدوى أو قد تفهم بصورة مخطوءة فتفضي الى اشكال في التواصل بين المتحاورين فكثير من تلك الحوارات تقتضي العبور من ثقافة الاناث الى ثقافة الذكور أو بخلاف ذلك .

وهناك فرقا واضحا في هذا الموضوع بين الثقافتين الغربية والعربية ففي الثقافة الغربية من الممكن لرجل أن يتغزل بزوجة صديقه أمامه في اللقاء في مناسبة معينة بطريقة يمتدح بها جمالها وأناقتها فيقول : سيدتي انت في غاية الجمال وان زوجك محظوظ بك وقد يخاطب زوجها قائلا : أنا أحسدك على زوجتك فان ذوقك عالي في اختيار النساء أما زوجها محكوم بثقافة المجتمع الذي ينتمي اليه ويكون زوجها سعيدا وفخورا أزاء تلك المدائح التي تكال لزوجته . أما في الثقافة العربية ذات الطابع القبلي ومنها الثقافة العراقية فان مثل تلك المدائح – غالبا – لاتفضي بالفشل في التواصل فحسب بل قد يقع مالايحمد عقباه وهذا مرتبط بعاداتهم وتقالدهم التي تحول دون ذلك فضلا عن تأثير العامل الديني الذي يحرم ذلك (٤)[١].

٣-اشكالية التواصل على صعيد الثقافة الواحدة بين الذكور والاناث .

لما كانت اشكالية التواصل على هذا المستوى من الاهمية فقد التفت اليها التداوليون من اللسانيين ومنهم جورج يوول الذي أورد لها مثالا في نهاية كتابه (التداولية) متسائلا بالأمكان النظر الى التفاعلات بين الذكور والاناث بوصفها مظهرا من مظاهر التداولية العابرة للثقافات . وقد أورد لها مثالا ساقه على النو الاتي :

كانت احدى النساء تقص على سبب انتهاء علاقة امتدت لسنوات طويلة . وقد أعادت على مسمعي محادثة محورية دائمة التكرار اتفقت هي والرجل الذي كانت تعيش معه

على ان يعيش كل منهما حرا ولكن بشـرط ألا يقدم أحدهما على فعل شـيء من شـأنه ايذاء الاخر . وعندما بدأ الرجل بخيانتها مع نسـاء أخريات احتجت عليه المرأة وكان احتجاجها اثار حفيظة الرجل فسا رت المحاورة بينهما على النحو الاتي :

–هي : كيف تجرؤ على أن تفعل هذا وانت تعلم أنه يؤذيني ؟

– هو : كيف تجرئين على تقييد حريتي ؟

– هي : ولكن هذا الامر يجعلني اشعر بالقرف ؟

– هو : أنت تحاولين استغلالي ؟ (٥)[١]

يرى يوول أن هذه المحاورة مثال على تصـارع الارادات اذ ان ما أراده مناقض لما تريده هي ومن ثم تظهر هذه المحاورة وبطريقة ثرية الاختلاف في مكمن التركيز فالمسألة الأساسية لهذا الرجل تكمن في استقلاليته وحريته فيما يقوم يه . بينما تكمن المسألة الاساسية للمرأة في اعتمادها على لرجل وشعورها اتجاه بما قام به وقد فسر الرجل اعتمادها عليه بأنه (استغلال ذلك بأنها تستخدم مشاعرها اتسيطر على سلوكه) (٦)

ومن ثم يتساءل يول حول القضايا او الموضوعات التي بامكان مصطلح عبر الثقافي ان يغطيها وهل يقتصـر على التواصـل بين أناس ينتمون الى بلدان مختلفة أم أنه يشـتمل حتى على دراسـة التفاعلات بين الذكور والاناث داخل البلد الواحد (الذي يتشـاركون كثيرا في الثقافة نفسـها) . وهل ان هذه الاشكالية تعد مجالا لدراسة التداولية العابرة للثقافات (٧)

اذا كان يوول ما زال يتساءل فأن اللغوية البولندية قد سلطت الضوء على تلك الاشكالية اذ وجدت في سـياق حديثها عن اختلاف الثقافات من اسـتجابة المتحاورين للمدائح التي توجه لهم أن هناك تفاوتا بين ثقافة واخرى .

ففي ثقافة الاناث تختلف الاسـتجابة للمدائح عما هي عليه عند الذكور من جهه ومن جهه اخرى ان استجابات الآناث أنفسهن للمدائح تختلف من ثقافة لاخرى ومثال ذلك الرسالة التي بعثها رجل حائر يسأل عن العلة وراء استجابات زوجته السلبية لمدائحه وقد أرسلها الى (آبي)اجاءت التي تعمل مسـاعدة لرئيس التحرير في صـحيفة لوس انجليس تايمز التي تصـدر في امريكا جاءت الرسالة وجواب آبي على النحو الآتي : (٨)

–الرجل : عزيزي آبي أود أن اسألك عن سلوك زوجتي فهي دائما تقلل من قيمة المدائح الصادقة تجاهها فاذا قلت لها : عزيزتي (جي) تبدين رائعة في هذا الفستان فان اجابتها ستكون على النحو

الآتي : هل تعني ذلك حقا ؟ نه مجرد خرقة اعطتني اياها اختيجيدة أو اذا قلت لها : انها نظفت البيت بصورة جيدة فأن اجابتها قد تكون حستا يبدو انك لم تر غرفة الاطفال بعد لذا أجد صعوبة في فهم عدم استقبالها المدائح من دون ان تقلل من قيمة نفسها ومن ثم فن ذلك يجرحني بعض الشيء آبي هلا توضحين هذالي .

–آبي : عزيزي الرجل الحائر زوجتك تفتقر الى الثقة بالنفس وتشعر بعض الشيء بالخجل من قبول المدح فلا تكن مجروحا من ذلك فأن كثيرا من الناس يوجهون صعوبة في تقبل المدائح بأمتنان . (٩)

تعلق ويرزبيكا على اجابة آبي قائلة ان اجابتها تفتقر الى امر مهم وهو ان الاستجابة الى المدائح تختلف من ثقافة الى اخرى وان ذلك في المجتمع المتعدد الثقافات – مثل الولايات المتحدة الامريكية – لايعتمدون على السمات الشخصية للناس فحسب مثل فقدان الثقة بل على خلفياتهم الثقافية ايضا .

فمن المحتمل ان زوجة ذلك الرجل لاتفتقر الى الثقة بالنفس و احترام الذات بل هي ببساطة يهودية أو قد تنحدر من أصول أوروبية شرقية و صينية أو يابانية ففي هذه الثقافات يكثر هذا النوع الذي ينم على التواضع في استجابة النساء للمدائح ومن ثم ان المفاجيء جدا أن آبي لم تلتفت الى ذلك الجانب من المشكلة . فلاستجابة التي نقلت عن الرجل الحائر ليست انحرافا عن القاعدة بل هي مثال نموذجي على الاسلوب المختلف وهو شائع في ثقافات كثيرة غير الثقافة الامريكية . (١٠)

وفي السياق نفسه تنقل ويرزبيكا عن اللغوي الياباني ميزوتاني ان النساء اليابانيات لايبلن المديح مطلقا من دون ان يقلن لا . وهو امر لفت انتباه الدارسين ومنهم اللغوي الامريكي روي ميلر الذي احصى لهذه الاجابة (لا) ستين طريقة في اليابانية لانجازها وقد ساق مثالا على ذلك نقلته ويرزبيكا في محادثة بين صديقين من اليابان جاءت على لنحو الآتي : (١١)

–المتكلمة : ماهذه الحديقة التي لديك فالعشب فيها جميل ومشرق جدا فهي بلا شك رائعة جدا أليس كذلك ؟

–المخاطبة :أ وه لا ليست كلها كذلك فنحن لانعتني بها كليا منذ وقت طويل لذا هي بسلطة لاتبدو جميلة دائما كما نريد لها أن تكون .

–المتكلمة : أوه لاأعتقد ذلك على الاطلاق ولكن بما انها حديقة كبيرة فان الاعتناء بها لوحدك سيكون بالطبع مهمة جسيمة وعلى الرغم من ذلك فنت با لتاكيد تمكنت من جعلها جميلة طوال الوقت ومن ثم هي بلا شك لطيفة ورائعة في أي وقت يراها فيه احد منا .

–المخاطبة : لا أخشى انها كذلك على الاطلاق .

وفي مقابل هذه الاستجابة ب (لا)للمدائح عند اليابانيات يؤكد ميلر أن الاستجابة في مثل هذا السياق التواصلي – عند الذكور في اليابان تقوم على القبول والاستحسان (١٢)

ويرى جيفري ليتش الذي هو الآخر نقل هذا المثال عن يلر ان من أوليات المجتمع الياباني ولاسيما نسائه توخي قاعدة التواضع في أثناء تلقي المدائح ومن ثم هم في سلوكهم التداولي هذ على النقيض من المجتمعات لناطقة بالانجليزية التي يعتاد بها المبالغة في التأدب في سياقات المديح اذ يقبل المديح على وجة اللياقة بأن نشكر المتكلم على تفضله بمديحنا بدلا من ان نسعى الى انكاره ومن ثم يميل المتكلمون الانجليز الى ايجاد مايسمى بالتوافق بين خرق (قاعدة التواضع) وخرق (قاعدة الموافقة) (١٣)

٤–اشكالية التواصل بين الذكور والاناث على صعيد الثقافات المختلفة :

من الامثلة على اختلاف طرق الانجاز بين ثقافة وأخرى تذكر ويرزبيكا في سياق انجاز الدعوة أن الرجل الانجليزي في بريطانيا بأمكانه أن يدعو امرة بطريقة مباشرة للخروج معه في الليل للعشاء او للذهاب الى السينما او لمكان ما فينجز دعوته باسلوب العرض[١] على النحو الاتي :

–هل تودين الذهاب معي الى السينما ؟

–هل تودين الخروج معي للعشاء هذه الليلة ؟

–أدعوك الى العشاء معي هذه الليلة ؟

أما في بولندا فأن الرجل اذا ما اراد أن يدعو امرأة الى السينما مثلا فأنه ينجز دعوته على النحو الاتي :

- ربما نذهب الى السينما في وقت ما ؟

فالبولندي بهذه الطريقة يضمن دعوته معنى محتملا هو : انك قد ترغبين بالذهاب معي اذا مادعوتك الى السينما وهو بهذا يدعو الى استضاح رغبتها من عدمها بلا فيتيح لها المجال توافق او ترفض ضمان على الاحراج لكليهما (١٤)

يبدو لي من ذلك أن طريقة الرجال البريطانيين في دعوة النساء تتسم بالمباشرة وهو امر يعود الى ثقافتهم التي تسمح بذلك في حين ثقافة البولنديين تحول دون الطريقة المباشرة لأنجاز الدعوة في مثل هذا السياق .

في حين أن الامثلة الاخرى الالة على صعيد اختلاف الجنس – في مجال التأدب – تعرض ويرزبيكا مقطعا من احدى روايات الكاتبة الانجليزية ذات الاصل الاوكراني مارينا لويكا بوصفه مثالا يوضح التفاعل الواقعي بين شخص البطلة في الرواية ووالدها الذي يبلغ الرابعة والثمانين .

وهو ينوي الزواج من فتاة عمرها يبلغ السادسة والثلاثين ن عمرها – تقول البطلة في الرواية أن صوت والدها يرتعش فرحا مع الحماسة محاولا ان يكتم فرحته قائلا :(انها اخبار جيدة وأنني سوف أتزوج) رادت أن تتزوج أحدا ما سريعا كي تتمكن من البقاء في بريطانيا (١٥)

ولا يخفى على المتمرس في اشكالات التواصل أن هذا المثال يجمع بين اشكالية التواصل الناتجة عن اختلاف طريقة التفكير بين الرجل والمرأة أزاء قضية الزواج ومن ناحية اخرى يشير ضمنا الى اشكالية التواصل بين الثقافتين الاوكرانية والبريطانية فأن الأب وان كان يرى ألا مشكلة في زواجه من سيدة صغيرة في السن مقارنة به فأن ابنته فكرت بذلك بطريقتها الانثوية المتأثرة بالقيود الناتجة عن ثقافة الاصل (الاوكرانية) فبدأ ذلك واضحا في غيرتها على أبيها من أن تأخذه امرأة أخرى منطلقة من ثقافتها الأصلية فأنجزت عباراتعا التي تنم على البهجة عند سماعها نية أبيها بالزواج بثقافتها الانجليزية المكتسبة (آها : أنه لأمر حسن يأبي).

الأمر الذي بدأ وقعه في سلوكها اللفظي أو حالها القصدية المبنية على المفارقة الضمنية تجاه خبر زواج أبيها أما هذا الأخير يرى أنه بسبب ثقافته البريطانية المكتسبة لااشكال في ذلك أنه حر في اختياره بيد أن معايير التأدب التي تفرضها العلاقة بين البنت وأبيها من جهة ومعايير الحرية الشخصية المكتسبة من جهة أخرى حال دون تصريحها برأيها المناقض لرأي أبيها .(١٦)

وفي السياق نفسه اذا قارنا بين الثقافه اليونانية والثقافة الأمريكية نجد أن العادات والتقاليد في ثقافة اليونان تقتضي أن المرأة قبل زواجها ينبغي ان تاخذ الرخصة من أبيها حينما تريد ان تفعل كثيرا من الأشياء بخلاف الذكور فأن أرادت الذهاب الى حفلة فتسأله : هل أستطيع الذهاب الى الحفلة التي يقيمها أصدقائي ؟

فتكون الاجابة بطريقتين في حال الرفض يقول : اذا اردت الذهاب فأذهبي . والمعنى أن الأب غير موافق .

أما أذا كان موافقا فأن اجابته تكون على النحو الآتي :نعم ينبغي ان تذهبي .(١٧)

أما في الثقافة الأمريكية فان مفهوم الحرية يختلف عما هو عليه عند اليونانيين ذلك بأن حرية المرأة غير المتزوجة – ولاسيما غير القاصر – تتيح لها ان تذهب ولا تطلب الاذن من أبيها مطلقا وقد تخبره بذلك ضمنا انها قد تتأخر في العودة الى البيت أو انها قد لاتعود بل تبيت مع أصديقائها (١٨)

وتعلل ورزبيكا هذه الظاهرة الثقافية بأن القاعدة في الثقافة اليونانية تقتضي مسوى عاليا جدا من التواصل غير المباشر أكثر مما هو عليه من هو عليه من الثقافة الامريكية .(١٩) وليس هذا فحسب بل ان الباحث يرى

هذا النمط من الافعال الكلامية غير مباشر المتداول في ثقافة التواصل بين الجنسين مرده الى مراعاة وجة الآخر وعدم الاصطدام مع رغباته ففي الثقافات الاوروبية وفي بعض سياقات الثقافات الشرقية – ومنها العربية – غالبا ماتعطي مساحة معينة تختلف من ثقافة الى اخرى للآخر في القبول أو الرفض .

٥- أسباب اشكالية التواصل بين (الذكور والأناث)

في ضوء ماتقدم يتضح أن التواصل بين الجنسين سمات كثيرة وسببا مهما ومؤثرا في تحديد طبيعة التفاعل الكلامي بين الجنسين وهو (السلطة) المنوطة بهذه الخطابات فطبيعة التواصل بين الجنسين في المجتمعات الذكورية يختلف عنه في المجتمعات التي تؤمن بالانسان بوصفه قيمة عليا قادرة على الانتاج والابداع ومن ثم رفض تفضيل احد الجنسين على الاخر .

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن الدكتور (عماد عبد اللطيف)يقسم المجتمعات – على اساس النوع على نوعين : مجتمعات يغلب عليها الطابع الذكوري أي تهيمن القيم الذكورية مثل الصلابة والحزم والتنافسية والانجازية والطموح ومجتمعات يغلب عليها الطابع الانثوي وتهيمن عليها قيم الانوثة مثل العاطفة والامومة والانفعالية وبحسب هذا التقسيم يرى ان بعد النوع هذا يؤثر في بعض علامات التواصل اللفظية وغير اللفظية فقد اثبتت بعض الدراسات ان الافراد في المجتمعات التي يهيمن عليها طابع ذكوري مثل اليبان واستراليا يميلون الى النبر العالي بدرجة اكبر من افراد المجتمعات التي يهيمن عليها الطابع الانثوي مثل السويد والنرويج التي تعتمد على النبر المنخفض .(٢٠)

ولعل هذا الامر الذي وقف عليه الدكتور عماد عبد اللطيف لايؤثر فقط في النبر وانما ايضا في طريقة توظيفنا الافعال الكلامية أو وسئل تعديل القوة الانجازية لمقاصدنا .

وذلك من حيث المباشرة وغير المباشرة وكمية الكلام المبذولة وهذه الطرق في استعمال الافعال الكلامية مرتبطة بثقافة هذه المجتمعات مثال في ذلك ان في المجتمع العراقي الذي يغلب عليه الطابع الذكوري هناك استراتيجية معينة يتداولها الجنسان في خطابه مع الآخر الى درجة ان نجاح العلاقة بين الجنسين غالبا قائم على الالتزام بهذه الاستراتيجيات فالرجل غالبا يتخذ استراتيجيات الافعال الكلامية المباشرة على صعيد الافعال التوجيهية للمرأة بينما المرأة تتخذ استراتيجة الافعال الكلامية غير المباشرة حفاظا على سلطة الرجل (حفظ المقامات) وفي الافعال الاثباتية التي يعبر فيها الفرد عن الاعتقاد وما يمتد له بصلة ايضا هناك اختلاف ففي هذه الاحيان لاتمتلك المرأة الحق بممارسة هكذا نوع من الافعال مقارنة بالرجل الذي ينظر اليه بأنه المسؤول عن كل شيء وانه اكثر اطلاعا وادراكا من المرأة وافضل منها في ادارة الحياة اليومية .

وهناك نوع اخر من الافعال لايقل خطوره عما سبقها الاوهو الافعال التعبيرية وهذه تكاد تكون فريدة لانها لاتحبذ في سياقات كثيرة ان تعبر المرأة عن مشاعر الحب والكراهية حتى وان كانت شاعرة او اديبة وبالامكان الرجوع

الى الخطاب الشـــعري والنثري الحديث والمعاصـــر فضـــلا عن التراث الادبي ومن ثم هناك كثير من الرجال العراقيين المتزوجين خصـــوصـــا من الاجيال الســـابقة يتخوفون الاكثار الافعال الكلامية (التعبير عن مشـــاعر الحب) خوفا من ان تتمرد الزوجة اذن ابرز خصيصة تواصلية عل صعيد التواصل بين الجنسين في كثير من دول العالم وقومياته ومنها العربية هي الســـلطة التي تشـــرعن تداول هكذا افعال كلامية ومنع اخرى كلا حســـب جنسه .

وفي هذا الصـدد يرى الباحث ان هناك مجموعة من القضـايا الاخرى من شـأنها أن تفضـي الى اشـكال تواصـلي بين الجنسين وتتمثل بالاتي :

١- اختلاف مستويات التفكير والادراك للعالم المرئي والمسموع او المادي والمعنوي بين الرجل والمرأة وهذا من شأنه أن يفضي الى اشكالات في التواصل بينهما .

٢- اختلاف الموضـــوعات التي تهتم بها النســـاء عما هي عليه عند الرجال وهذا الامر جعل من مجتمع النســـاء أو الأناث له ثيمات وقضـــايا تختلف عما هي عليه في مجتمع الذكور او الرجال وعبور تلك الموضـــوعات والحديث فيها من جانب الطرفين يعد عبورا نحو ثقافة اخرى تصل الى حد المحظور ويسبب اشكل في التواصل بينهما .

٣- أن اختلاف البيئات والثقافات والمجتمعات التي ينتمي اليه الجنســان يولد ضــربا من التســلط والاســتلاب والهيمنة وسوء الفهم بين الجنسين .

٤- اخلاف سياقات التواصل ومواقفه من حال الى اخرى ومن مكان رسمي مثل اماكن العمل الى مكان غير رسمي مثل الشارع وغيره .

ان مجمل هذه الاختلافات يؤثر في الاســـتيراتيجيات اللغوية ذات الطابع التداولي عند كل من مجتمعي الذكو والاناث تؤدي الى عدم فهم الجنسين هذه الاستيراتيجيات المختلفة وكيفية التعامل معها قد يتسبب بكثير من سوء الفهم ونتيجة لذلك يضيع القصد عند استعمال هذه الستراتيجيات اللغوية المختلفة ويغدو غامضا عند المتحاورين .

ومصـداق ذلك ماذكرته اللغوية الأمريكية دييرا تانين من شـاهد في هذا السـياق حدث بين رجل وأمرأتين اذ كانت المرأتان تسيران مع بعضـهما وتتبادلان أطراف الحديث وأذا الرجل يسير بمحاذاتهماوكانت كلتاهما تعرفان الرجل فالتفتت احداهما نحوه والقت النتيجة عليه قائلة :

أين معطفك فأجابها شكرا ياماما .

ترى تانين أن اجابته يفهم منها ان المراة كانت تقصد بكلامها ممارسة سلطة الامومة عليه بان الام غالبا ماتشير الى الطفل بضـــرورة ارتداء معطفه اذا كان الجو باردا على من ان المراة كان القصـــد من كلامها اظهار جانب

المودة والالفة والاهتمام اتجاه الرجل اكثر مما هو ابداء اهتمام الامومة ذي النزعة الساطوية (٢١) قصد الرجل هنا لن يبدو واضحا (٢٢)

فالسخرية في كلام الرجل أفضى الى اشكال تواصلي بوصفه رجلا بالغا ادرى بمصلحته وليس طفلا ومن ثم لايحتاج الى وصايا كما هو واضح من خلال كلام المرأة .

ولعل الامر لايقتصر على الاختلاف الثقافي الناتج عن الاختلاف في بيئة الرجال عن بيئة النساء فقد تقع الاشكالات في الاختلاف بين الزوج وزوجته في الاختلاف في انجاز الطلب أحدهما من الآخر .

وبرى هنتر هولزل أثر تنوع الثقافات في طريق انجاز الطلب بين الجنسين وتجري وقائعه بين السيد يوول وزوجه ديانا اذ وضح الاشكال كل من الزوجين على النحو ا لاتي : (٢٣)

- يوول : أحسب أن اظهار الأهتمام بالآخرين يعني التحدث مع الناس مباشرة ويصدق الاعتقاد بالاتفاق في الكلام وهذا الاتفاق يبدي عدم مراعاة الآخرين أشعر بالاساءة والخداع حينما أجده عند احد الأشخاص القريبين مني يحاول أن يخبرني بشيء ولكنه لايصرح به .

من أرى أن التحدث بصدق وبصورة مباشرة هو أمر في غاية التحضر والمصداقية فعلى سبيل المثال أنني دائما أتضايق بعض الشيء من ديانا (زوجته) عندما تفعل ذلك دائما فهي تسألني اذا ماكانت لدي رغبة في أن أحمل (أنيف) ابنها .

- ديانا ترد على كلامه قائلة : وذلك افضل طريقة للسؤال . فأنا لاأفرض عليه الأمر بل أحاول بذلك أن أجعل الطلب لطيفا ومن ثم أتيح له المجال كي يختار بين المواغفة والرفض .

يوضح هنتر هولزل العلة في الاختلاف بين الزوجين بأنه عائد الى الأختلاف الثقافي بينهما ذلك أن ديانا قد عاشت وترعرعت في فرنسا أما يوول اسرائيلي الأصل والنشأة ومن ثم هما يختلفان في الرأي أزاء المعنى الأجتماعي في قضية المباشرة وعدم المباشرة في الطلب تبعا للاعراف الاجتماعية في الثقافات التي ينحدر منها الزوجان المفعوم من ذلك أن طريقة ديانا في الطلب بحسب ثقافتعا الفرنسية فعي تتحول بالسؤال الى الطلب مباشرة وبذلك يتيح لزوجها المجال ليرفض ولايكون مضطرا للامتثال الى فعلها الطلبي قسرا .

اما يوول فهو على النقيض من ذلك ويعد المباشرة في الكلام من طرف ديانا مهينا . فهو يتوقع عكس ما تراه دينا بالنسبة له على انه نوع من الاهتمام به . (٢٤)

وعلى الرغم من أن النظرة الاجنماعية المطردة التي ترى ان الرجال اكثر مباشرة في حديثهم من النساء بداعي تجاوز الخجل والحواجز التي نحول دون ذلك اكثر مما هي عليه عند النساء .فقد نقلت تانين عن اللغوي الامريكي ادوارد كينان أنه وجد في قرى جزيرة مدغشقر أن النساء يتكلمن بشكل غير مباشر وهذا لايدل على ان النساء أكثر سلطة من الرجال في ذلك المجتمع بل المسألة على النقيض من ذلك وتبدو أنها أعلى قيمة من

الطريقة المباشرة فقد وجد كينان –أن النساء هناك يعتقدن – الى حد كبير – بأنهن يخففن من مغالطات الخطاب وزيفه بأسلوبهن المباشر الطبيعي وغير المنمق في حين اتقان الرجال الطريقة غيرالمباشرة في الخطاب يعد أمرا محترما الى حد بعيد فهو يدل على الوقار والحكمة في مجتمعهم (٢٥) وفي المقارنة التي أجرتها تانين بين اليونانيين والامريكيين فقد أخذت بالحسبارة في ان ميل كل منهما الى تأويل السؤال بأنه طريقة في الحوار قصد به الامر . وعلى الرغم من أن النساء الامريكيات يفضلن الى جد بعيد الافعال الكلامية غير المباشرة في المحادثة فأن الرجال اليونانيين يشبهون الى حد بعيد النساء الامريكيات في الاستعمال ويفضلون التأويل غير المباشر أكثر من الرجال والنساء الامريكيين وفي الواقع أن الرجال اليونانيين بالطبع ليسو ا أقل سلطة بالقياس الى النساء البونانياتمما هو عليه عند الرجال الامريكيين بالنسبة للنساء الأمريكيات .(٢٦)

فالرجال أكثر سلطة في المجتمعين ولكن طريقتهم تختلف في انجاز أفعالهم الكلامية وكذلك مقاصدها . أما على صعيد التسلط والهيمنة في التواصل بين الذكور والاناث فهو أمر– لاريب – يعد اشكالا من اشكالات التواصل وقد يتخذ الرجال (الصمت) سبيلا الى ممارسة السلطة والهيمنة على النساء ومثال على ذلك ي رواية الكاتبة الامريكية أيريكيا جونغ المسماة (الخوف من الطيران) في مشهد حواري بن ايزادوراوزوجها بنيت على النحو اتلأتي :

-
ايزادورا : لماذا تدير ظهرك نحوي ؟ ماذا فعلت أنا ؟
- أيزادورا: مالذي فعلته أنا ؟
- بينيت يحدق بها كما لو أنها لم تعلم أين الأذى .
- بينيت : اسمعي دعينا فقط نذهب الى النوم الأن وننسى ذلك فحسب .
- ايزادورا ننسى ماذا ؟
- بينيت : يلازم الصمت مرة أخرى .
- ايزادورا : انه شيء ما في الفيلم أليس كذلك ؟
- بنيت ماذلك الشيء في الفيلم ؟
- ايزادورا : أنه مشهد الجنازة عندما شاهد الطفل موت والته شيء ما حدثلك عندها فقد انتابك الحزن .
- بينيت يصمت .
- ايزادورا: أوه هيا بنيت أثرت فضولى رجاء أخبرني رجاء .

يســتمر مشــهد الحزن في الرواية حتى يحاول بينيت مغادرة الغرفة بيد أن ايزادورا تحاول منه لذا يبدو ان بينيت اتخذ الصمت وسيلة للسيطرة على زوجه .

وينتهي المشـهد بأنحنائها نحو الأرض ممسـكة بطرف سـرواله كان السـبب في صـمته هو سـلاح فعال في اثرة غريزة الالحاح عند المرأة بقصد السيطرة عليها . من هنا لم تكن النتائج في عدم التواصل بسبب صمته فقط بل من اجتماع صـمته مع الحاحها على الكلام لمعرفة السـبب وراء صـمته وبعبارة اخرى أن التواصـل بينهما كان بأساليب مختلفة . (٢٧)

يرى كرامش في مقارنة أجراها بين مجموعتين من الطلاب الأمريكيين واليابانيين حول الأجابة عن قضـــية معينة وجد أن اليابانيين يبجؤون حديثهم انطلاقا من تسلسل هرمي اجتماعي ز اذ أن جنس الأناث هو الذي يبدأ الكلام فتتحدث سـيدة ثم سـيدة اخرى ثم أضـغر الشـباب سـنا ثم يأتي بعد ذلك الأكبر سـنا من الذكور في الختام اذ ان قضـية أول من يتحدث تمثل أهمية قصـوى في الثقافة اليابانية (٢٨) وهم بذلك يختلفون عن الطلاب الأمريكيين الذين ترعرعوا في ثقافة تقدم الفرد على الجماعة وتعطيه أهمية قصـــوى ولا تعير أهمية لقضـــايا العمر والترتيب الاجتماعي في الحوار .

ويخلص الباحث مما تقدم الى أن عملية التواصـل بين الجنسـين محكومة بقوانين الخطاب للجماعة المحلية وان كثيرا من عمليات التواصل بينهما تعد عبورا الى ثقافة الجنس الآخر فاذا كان على الصـعيد المحلي بهذه الفجوة فكيف على الصعيد العالمي ؟

نتائج البحث :

- يخلص الباحث مما تقدم ان اشكالية التواصل بين الذكور والاناث يحددها وجود فجوة ثقافية بينهما وكلما اتسعت الفجوة زاد الامر حدة ومن ثم تكون عملية التواصـــل بمثابة عبو را الى ثقافة اخرى وذلك نتيجة تفاوت البيئة الادراكية المعرفية لكل منها .مر الذي يؤثر في كفاءتهما التدالية ومن ثم طريقة انجاز هما للأفعال الكلامية وتأويلها .
- الأثر الواضـح الذي تتركه الخصـوصـيات العرقية والدينية في تحديد طبيعة التواصـل بين الجنسـين هناك قضـايا لايسـمح الخوض بها بين الجنسـين من الناحية العرقية والدينية فضـلا عن الممارسـة الحوارية بين الطرفين التي تفضي الى مقاصد يصعب فهمها واستعمال مصطلحات خاصة بالذكور تختلف عند الاناث .
- نجاح التواصـل أو فشـله بين الجنسـين تتحكم به العادات والتقاليد السـائدة في ثقافة كل مجتمع التي تختلف من مجتمع لآخر .
- لم تكن اشكالية التواصل بين الذكور والاناث ذات طابع مطلق في الثقافات كافة بل هي ذات طابع نسبي يتجلى بوضوح في بعض الثقافات ويكون غامضا وعسيرا في ثقافات اخرى .

- استعمال بعض الثقافات عبارات محددة في الأستجابة للمدائح عند الأناث قد يفهم منها الآخر عدم الرضا أو عدم قبول المدائح . وهناك عبارات في ثقافة معينة يقصد من ذلك التواضع وليس استجابة سلبية أو عدم الرضا عن الذات بل فهم المقصود .
- استعمال الأفعال الكلامية غير المباشرة في بعض الثقافات بين الذكور والأناث لأنجاز الطلب أو الدعوة حفظا لماء وجه المتكلم من أن يلاق بالرفض من لدن المتلقي وهي استراتيجية في الحوار تسمح للمتكلم بتمرير المقاصد ضمنيا وعدم التصريح بها .
- توجد ممارسة للسلطة من جهة الذكور تجاة الأناث في أثناء التواصل سعيا منهم الى الهيمنة على الآخر ذهنيا وصولا الى القصد المراد وقد يصل الأمر الى تقييد حرية الآخر (الأناث) من أن يصرح برأيه أزاء مايشعر به .

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

- البلاغة والتواصل عبر الثقافات ، د . عماد عبد اللطيف ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٢ م .
- التداولية ، جورج يول ، ترجمة : د. قصي المتأبي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- اللغة والثقافة ، كلير كرامش ، ترجمة : أحمد الشيمي ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، قطر ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- مباديء التداولية ، جيفري ليتش ، ترجمة : عبد القادر قينيني ، أفريقيا الشرق ، ٢٠١٣ م .

Arabic and translated sources and references

-Rhetoric and cross-cultural communication, Dr. Imad Abdel Latif, Ministry of Culture, Cairo, ١st edition, ٢٠١٢AD .

-Pragmatics, George Yule, translated by: Dr. Qusay Al-Mutabi, Arab House of Sciences, Beirut, Lebanon, ١st edition, ٢٠١٠AD .

-Language and Culture, Claire Kramsch, translated by: Ahmed Al-Shimi, Ministry of Culture, Arts and Heritage, Doha, Qatar, ١st edition, ٢٠١٠AD.

-Principles of Pragmatics, Jeffrey Leach, translated by: Abdelkader Qenini, East Africa, ٢٠١٣AD.

المراجع الأجنبية :

- ELsayed Mahmoud ELsaye (2014) A cross –cultural stydy pf pragmatically requestive speech act realization patterns DISSertation submitted in partial fultillment of the requrements for degree of Med TESOL . THE BTLTLSH UNIVESLTY IN DUBAL . Faculty of Education Dissertation supervisor . Dr. Ysemin Yldiz .

- Hinterholzl Roland (2012) . Acomparison of the ealization of requestive speech acts in ltalian and German . Anno Accademico Venesia-ltaly.
- Tannan . Deborah ,The reiativity linguistic strategies ; rethinking power and solidarity in gender and dominance. Ln; (1993) gender and conversational ineraction . oxford university press. New york .
- Thomas . genny ; cross-cultural pragmatics failure . ln (1983) APPlied linguistics, volume 4. No2.
- Wierzbica Anna , (1991) . cross-cultural pragatics . the semantics of human interaction . Berlin , Mouton de Gruyter .
- Wicerzbicka . Anna the reality of cult ural scripts revealed in cross-cultural communication . in . (2010) pragmatics across languages and cultures volume 7 .BerlinLnew York

هوامش البحث :

١. genny Thomas:cross-cultural pragmatic falar: ٩١

٢. ينظر التداولية ، جورج يول : ١٨٧ .

٣. mah moud Elsayed Across- cultural study of pragmatically requestive speech act realization patterns :19

٤. مديح جمال الزوجات في الثقافة العربية محصور في الجانب الادبي نحو مدح النابغة الذبياني لزوجة النعمان بن المنذر قصيدة المتجردة اذ أن هذه الظاهرة شائعة في عصر ماقبل الاسلام . وكانت العرب سابقا تفخر بجمال نسائها وتعير بقبح الآخرين ماجاء في معلقة بن كلثوم التغلبي . (على اثارنا بيض حسان تحاذر ان تقسم او تهاونا) وظهر في العصر الاموي عند عمرو بن ابي ربيعة العامري ولكنها تبقى حالات قليلة رهينة عصرنا وسياقاتها.

٥. التداولية : ١٦٨- ١٦٩ .

٦. ينظر : التداولية ، جورج يوول : ١٦٩ .

٧. ينظر المصدر نفسه : ١٦٩ .

٨. werizbica.Ann . cross- cuiturai pragmatics. 143-144

٩. Lbid 144- 143

١٠. Lbid 144

١١. weizbica . Ann . cosse-cultural pragmatics < 145

١٢. lbid 146 وينظر : مبادىء التداولية ، جيفري ليتش ١٨٠-١٨١

١٣. ينظر : مباديء التداولية ، جيفري ليتش : ١٨١ .

١٤. werizbica ann cross –cuituai pragmatics :29

١٥. wierzbicka anna the reality of cuitural scripts reveaied in cross : 61-62

١٦. werizbica an n cross . –cultural pragmatics :62

١٧. tannen . Deborah . the relativity linguistic strategies ln:(1993) gendr: 174-175
rethinking power a ينظر : البلاغة والتواصل عبر الثقافات : عماد عبد اللطيف : ١٣١ .

١٨. Werizbica Ann,Cross cultural pragmatics ٩٨

١٩. lbid ,98-

٢٠. ينظر: البلاغة والتواصل عبر الثقافات ، عماد عبد اللطيف : ١٣١

٢١. Power and sol idarity in grader : 168

٢٢. Lbid :168

٢٣. Hint erholzl Rol and ACOMParison
of the realization re

٢٤. lbid 168

٢٥. Tannen Deborah Ling uistic strategies rethinking power and solidarity
in)1993 gender and convwrstional interaction 174-175

٢٦. Lbid 175

٢٧. Tannen Deboran Linguistic strategies rehin;ing power and solidarity l1993
gender and conversational interaction 177

٢٨. ينظر اللغة والثقافة ، كلير كرامش : ٧٨-٨٠